

الشرية

باب الرد على القدرية .

قال محمد بن الحسين C : .

حسبي ا و نعم الوكيل والحمد لله أهل الحمد والثناء والعزة والبقاء والعظمة والكبرياء
أحمده على تواتر نعمه وقديم إحسانه وقسمه حمد من يعلم أن مولاه الكريم يحب الحمد فله
الحمد على كل حال وصلى الله على البشير النذير السراج المنير سيد الأولين والآخرين ذلك
محمد A رسول رب العالمين وعلى آله الطيبين وعلى أصحابه المنتخبين وعلى أزواجه أمهات
المؤمنين .

أما بعد فإن سائل سأل عن مذهبنا في القدر ؟ .

فالجواب في ذلك - قبل أن نخبره بمذهبنا - : أنا ننصح للسانل ونعلمه أنه لا يحسن
بالمسلمين التنقيير والبحث عن القدر لأن القدر سر من أسرار الله D بل الإيمان بما جرت به
المقادير من خير أو شر : واجب على العباد أن يؤمنوا به ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن
القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد فيضل عن طريق الحق .

قال النبي A : [ما هلك أمة قط إلا بالشرك بالله D وما أشركت أمة حتى يكون بدو شركها :
التكذيب بالقدر] .

قال محمد بن الحسين C : ولولا أن الصحابة B هم لما بلغهم عن قوم ضلال شردوا عن طريق الحق
وكذبوا بالقدر فردوا عليهم قولهم وكفرهم وكذلك التابعون لهم بإحسان سبوا من تكلم
بالقدر وكذب به ولعنوهم ونهوا عن مجالستهم وكذلك أئمة المسلمين ينهون عن مجالسة
القدرية وعن مناظرتهم ويبينوا للمسلمين قبيح مذاهبهم فلولا أن هؤلاء ردوا على القدرية لم
يسع من بعدهم الكلام على القدر بل الإيمان بالقدر : خيره وشره واجب قضاء وقدر وما قدر
يكن وما لم يقدر لم يكن فإذا عمل العبد بطاعة الله D علم أنها بتوفيق الله D له فيشكره على
ذلك وإن عمل بمعصيته ندم على ذلك وعلم أنها بمقدور جرى عليه فذم نفسه واستغفر الله D .
هذا مذهب المسلمين .

وليس لأحد على الله D حجة بل الله الحجة على خلقه قال الله D : { قل فالحجة البالغة فلو شاء
لهذاكم أجمعين } .

ثم اعلّموا - رحمننا الله وإياكم - أن مذهبنا في القدر أن نقول : إن الله D خلق الجنة وخلق
النار ولكل واحدة منهما أهلاً وأقسم بعزته أنه سيملاً جهنم من الجنة والناس أجمعين ثم خلق
آدم عليه السلام واستخرج من طهره كل ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة .

ثم جعلهم فريقين : فريق في الجنة وفريق في السعير وخلق إبليس وأمره بالسجود لآدم عليه السلام وقد علم أنه لا يسجد للمقدور الذي قد جرى عليه من الشقوة التي قد سبقت في العلم من D لا معارض الكريم في حكمه يفعل في خلقه ما يريد عدلا من ربنا قضاؤه وقدره وخلق آدم وحواء عليهما السلام للأرض خلقهما أسكنهما الجنة وأمرهما أن يأكلا منها رغدا ما شاءا ونهاهما عن شجرة واحدة أن يقرباها وقد جرى مقدوره أنهما سيعصيانه بأكلهما من الشجرة فهو تبارك وتعالى في الظاهر ينهاهما وفي الباطن من علمه : قد قدر عليهما أنهما يأكلان منها قال تعالى : { لا يسأل عما يفعل وهم يسألون } لم يكن لهما بد من أكلهما سببا للمعصية وسببا لخروجهما من الجنة إذ كانا للأرض خلقا وأنه سيغفر لهما بعد المعصية كل ذلك سابق في علمه لا يجوز أن يكون شيء يحدث في جميع خلقه إلا وقد جرى مقدوره به وأحاط به علما قبل كونه أنه سيكون خلق الخلق كما شاء لما شاء فجعلهم شقيا وسعيدا قبل أن يخرجهم إلى الدنيا وهم في بطون أمهاتهم وكتب آجالهم وكتب أرزاقهم وكتب أعمالهم ثم أخرجهم إلى الدنيا وكل إنسان يسعى فيما كتب له وعليه ثم بعث رسله وأنزل عليهم وحيه وأمرهم بالبلاغ لخلقهم فبلغوا رسالات ربهم ونصحوا قومهم فمن جرى في مقدور D أن يؤمن آمن ومن جرى في مقدوره أن يكفر كفر قال D : { هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن } بما تعملون بصير { أحب من أراد من عباده فشرح صدره للإيمان والإسلام ومقت آخرين فختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلن يهتدوا أبدا يضل من يشاء ويهدي من يشاء } لا يسأل عما يفعل وهم يسألون { ٥ الخلق كلهم له يفعل في خلقه ما يريد غير طالم لهم جل ذكره عن أن ينسب ربنا إلى الظلم إنما يظلم من يأخذ ما ليس له بملك وأما ربنا D فله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وله الدنيا والآخرة جل ذكره وتقدست أسماؤه أحب الطاعة من عباده وأمر بها فجرت ممن أطاعه بتوقيفه لهم ونهى عن المعاصي وأراد كونها من غير محبة منه لها ولا للأمر بها تعالى D أن يأمر بالفحشاء أو يحبها وجل ربنا وعز أن يجري في ملكه ما لم يرد أن يجري أو شيء لم يحط به علمه قبل كونه قد علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم وبعد أن يخلقهم قبل أن يعملوا قضاء وقدرًا قد جرى القلم بأمره D في اللوح المحفوظ بما يكون من بر أو فجور يثني على من عمل بطاعته من عبده ويضيف العمل إلى العباد ويعددهم عليه الجزاء العظيم ولولا توقيفه لهم ما عملوا ما استوجبوا به منه الجزاء { ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم } وكذا ذم قوما عملوا بمعصيته وتوعددهم على العمل بها وأضاف العمل إليهم بما عملوا وذلك بمقدور جرى عليهم يضل من يشاء ويهدي من يشاء .

قال محمد بن الحسين C تعالى : هذا مذهبنا في القدر الذي سأل عنه السائل .

فإن قال قائل : ما الحجة فيما قلت ؟ .

قيل له : كتاب ا D وسنة رسوله A وسنة أصحابه B والتابعين لهم بإحسان وقول أئمة المسلمين .

فإن قال : فاذكر من ذلك ما نزداد به علما وبقينا .

قيل له : نعم إن شاء الله تعالى والموفق لكل رشاد والمعين عليه إن شاء الله تعالى